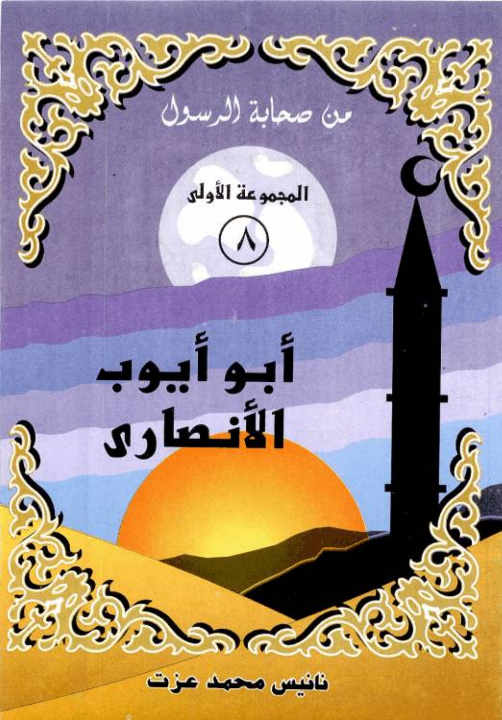

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
٨
أبو أيوب
الأنصاري
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ٨

أبو أيوبَ الأنصارى

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

أبو أيوبَ الأنصارى

جلسَ أفرادُ الأُسرَةِ بعدَ العِشاءِ فى حُجرةِ المَعيشةِ يَتسامَرون . قالَ مُصطفَى :

ـ أكمِلْ لنا يا أبى قِصَّةَ هِجرةِ الرَّسولِ ـــ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم ـ فهى قصَّةٌ شائِقَة ، مَليئَةٌ بالمواقفِ الرّائِعَة .

قالَ أبوه : سأفعلُ يا مُصطفَى ، ولكن بعدَ أن يَقولَ لى كلٌّ منكم ما الذى أَعجبَهُ فيما قَصَصْتُه عَليكُم البارِحَة .

قالَ مُصطفَى : أعْجَبتْنى شَجاعَةُ سيِّدنا عَلىّ ـ كرَّمَ اللّهُ وجْهَه ـ عِنْدما نام فى فِراش النَّبىِّ ـ صلَّى اللّـهُ عليـهِ وسلَّم ـ ولم يَخَفْ بطْشَ قُرَيْش . وكذلِكَ مَوقفُ أبى بَكرٍ الصِّدّيـق ـ رَضِىَ اللّهُ عنه ـ عِندما اختبأ هـو والنَّبىُّ فـى الغار ، مِمّا يدُلُّ علـى حُبِّـهِ الشَّديدِ وولائِـهِ للنبىّ .

قالتْ ريم : نعمْ يا أبى ، فقدْ سدَّ أبو بَكـرٍ بَثوبهِ كُلَّ الشُّقوق الّتى وَجدَهـا فـى الغار ، ولّما بَقَى مِنها شَقٌّ لم يُسَدّ ، قـامَ بسَدِّهِ بجَسَدِه ، حتّى لا يُفاجَأَ النَّبىُّ بثُعبانٍ أو

عَقْرَب . وقـد حـدثَ ما توقَّعهُ أبـو بَكْـر ، وكانَ نَصيبُهُ لَدْغَةً في جَسَدِه .

قـال مُصطفَى : وقـد أعْجَبنـي كَثيرًا مـا حدثَ لسُراقَةَ بنِ مـالِكٍ ولِحِصانِـه ، عندَما حـاولَ أن يَلحقَ بالرَّسـول ـــ صلَّـى اللّـهُ عليهِ وسلَّم ـــ ودلَّ ذلـك على حِمايَـةِ اللّـهِ ـ سُبْحَانَه وتَعالَى ـ لرَسولِه .

قـالَ أبوهـم : حَسـنٌ جـدّا ، فـأرى أنَّكـم اسْتَوعَبتُم مـا قَصَصتُـهُ عليكـم بـالأَمس ، والآنَ أُكمِـلُ لكـم القِصَّـةَ بوُصـولِ النَّبـيّ ـ صلَّـى اللّـهُ عليـهِ وسـلَّم ـــ إلَى المَدينـة ،

واسْتِقْبالِ أَهلِ المَدينةِ له بالغِناءِ والتَّهْليلِ والتَّصْفيق .

قالتْ ريم : لقد حَفِظنا في المَدرسَةِ النَّشيدَ الَّذى اسْتَقبلَتْ به المَدينةُ الرَّسولَ ـ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ـ إذ يَقول :

طلع البَدرُ علينا
من ثَنِيّاتِ الوَداع
وجَبَ الشُّكرُ علينا
ما دَعا لِلَّهِ داع
أيُّها المَبعوثُ فينا
جِئتَ بالأَمرِ المُطاع

قالَ أبوها : نَعم ، فقد كانَ أهلُ المَدينةِ سُعَداءَ بوُصولِ الرَّسول - صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم - إلَيهِم ، وتَشريفِهِ مَدينَتَهم ، فتَسابَقوا جَميعا ليَأخذوا بزِمام ناقَتِه ، لِينزلَ الرَّسولُ فى ضِيافَتِهم .

فَهولاءِ بَنو عَوْف ، وبَنو بَياضَة ، وبَنو ساعِدَهْ ، وبَنو الحارثِ بن الخَزرَج ، وبَنو عَدىِّ بنِ النَّجار ، كلٌّ مِنهم يُريدُ أن يكونَ له شَرفُ ضِيافَةِ الرَّسولِ - صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّم - فالكُلُّ يَتسابَقونَ ويَأخُذونَ بزِمامِ ناقَتِه - صلَّى اللّهُ عليه وسَلَّم . فكانَ يَقولُ لهم : خَلّوا سَبيلَها فإنَّها مَأمورَة .

وتَمشى النّاقَةُ فى أنْحاءِ المَدينَة ، وكلٌّ مِنهم يتَمنّى أنْ يَنالَ شرفَ ضِيافَةِ الرّسول ، ويَدعو الرّسولُ ربَّه : اللّهمَّ خِرْ لى واخْتَرْ لى . إلَى أن بَركت النّاقَةُ أمامَ دارِ مالكِ بنِ النّجّار ، ثُمَّ قامَتْ وطافَتْ بالمَكان ، ثمَّ عادتْ وبركتْ فى نَفسِ مَكانِها الأوّل .

هُنالِكَ تقدَّمَ أحَدُ المُسلِمينَ فَرِحًا مُستَبشِرا ، وحمَلَ رحلَ الرّسولِ وأدخَلهُ بَيتَه ، وتَبِعَه الرّسولُ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ .

قالتْ ريم : ومنْ هذا الّذى فـازَ بشَـرفِ الضِّيافَةِ يا أبى ؟

قـالَ أبوهـا : إنّـه أبـو أيّـوبَ الأَنْصَـارِىّ - خالدُ بنُ زَيْد - حَفيدُ مالِكِ بنِ النّجّار .

قالَ مُصطفى : لا بدَّ أنّه كانَ سَعيدا !

قـالَ أَبـوه : وأىَّ سَـعادَة ! فسيُشـرِّفُهُ الرَّسول - صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم - بالإقامَةِ عِندَه ، إلى أنْ يَقومَ الرَّسولُ بِبناءِ المَسجدِ ، وبِناءِ دارٍ خاصَّةٍ لَه .

وأصَرَّ الرَّسولُ - صلّى اللّهُ عليـهِ وسـلّم - أنْ يَنزِلَ فى الطّابَقِ الأَسفَلِ مـن الـدّار ،

واسْتَنكَفَ أبو أيّوبَ ذلك ، فكيْـفَ يَكـونُ هو فى مَكان أعلَى من رَسولِ اللّه ! ولكِـنَّ الرّسولَ ـ صلَّى اللّهُ عليهِ وسـلَّم ـ فضَّـلَ ذلك ، حتّى لا يَشُقَّ على زائِريه .

ويَحكِى أبو أيوبَ فيَقول : انكسَرتْ فى يَـومٍ مـن الأَيّـامِ جَـرَّةُ مـاء ، وخـافَ هُـو وزَوجَتُهُ أن يَنزلَ الماءُ على الرَّسولِ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلَّم ـ فجفَّفا الماءَ بقَطيفَـةٍ لهمـا ما عِندَهُما غَيرُها كانا يَسْتَخدِمانِها كغِطـاءٍ لَهُمـا . فـأصرَّ أبـو أيّـوبَ بعـدَ ذلـكَ أن يَـنزِلَ النّبىُّ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ فى الطّابَقِ الأعلىَ ، ويَنزِلَ هُو فى الطّابَقِ الأَسفَل .

قالتْ ريم : أكانَ أبو أيّوبَ منَ المُسلِمينَ الأوائِل ، الّذينَ سارعوا إلَى الإسْلام ؟

قالَ أبوها : نعم . أسْلَم أبو أيُّوبَ فى بَيعَةِ العَقبَةِ الثّانِيَة ، وقد وَهبَ نفسَهُ وحَياتَهُ مُنذ إسْلامِه لنَشرِ الدّينِ الجَديد ، فكانَ فى جَميعِ الغَزَواتِ سَيفًا من سُيوفِ الإسْلام ، شارك فى غَزَواتِ بَدر وأُحُد والخَندَق ، وكانَ فى كُلِّ المَشاهِدِ والمَغازى البَطلَ المِقدام ، بائِعًا نَفسَهُ ومالَهُ لِلّهِ ربِّ العالَمين .

ولم يتخلّف أبو أَيّوبَ عن أيَّةِ مَوقِعَةٍ

للإسْلامِ أيّامَ الرَّسولِ ومن بَعْدِه ، فهو يَذكُرُ دائِمًا قولَ اللّهِ سُبْحانَه وتَعالَى : « انفِروا خِفافًا وثِقالا » .

وخرجَ أبو أَيّوبَ فى عَهدِ مُعاوِيَةَ بنِ أَبى سُفْيانَ فى جَيشِ المُسلِمينَ إلى القُسطَنطينِيَّة ، وأُصيبَ فى المعركَةِ إصابةً قاتِلَة . ولكن هل تَعلَمونَ يا أولادى ماذا كانَ آخِرُ طَلبٍ له قَبلَ أن يَموت ؟

قال مُصطفَى : ماذا يا أبى ؟ ماذا يكونُ طَلبُ رَجُلٍ قَضى عُمرَهُ كُلَّه فى الجِهاد فى سَبيلِ اللّه ؟

قالَ أَبوه : عـزَّ عليـهِ أن يَمـوتَ قبـلَ أن يَشهَدَ فَتحَ بـلادِ الـرّوم ، فطلـبَ مـن قـائِدِ الجَيشِ زَيْدِ بنِ مُعاويَة ، أنْ يَحمِـلَ جُثمانَـهُ إلى أَبعـدِ مَكـان يُمكِـنُ أن يَصِـلَ إلَيْـه فـى أَرضِ العَـدُوِّ ، حَيـثُ يدفِنُـه ، ثـمَّ يَتقَـدَّمُ بجَيشِهِ علَى نَفسِ الطَّريق ، حتى يَسمعَ أَبـو أيّـوبَ وهـو فـى قَـبرِه ، أصـواتِ جُيـوشِ المُسلِمين وهُـم يَتقدَّمـون ، فيعْلـمَ أنَّهُـم أَدركوا غـايَتَهم ، وكـانَ لهـم النَّصـرُ علـى أَعدائِهم .

قـال مُصطفَـى : أَلِهـذِهِ الدَّرجـةِ كـانَ

حَريصًا علَى المُشارَكَةِ فى المَعرَكة ؟

قالَ أَبوه : لقد كانوا رِجالاً كـلُّ غـايَتِهِم نَشرُ الإِسْلامِ فى شتّى بِقاعِ الأَرض .

قالـتْ ريم : أسْتَطيع يـا أبـى أنَ أَسْتَنتِجَ مِـن قِصَّتِـك ، أنَّ أبـا أيّـوبَ كـانَ رَجُـلا « بَسـيطا » لم يَعـرِف فـى حَياتِـهِ إلاّ اللّـهَ والعِبـادَةَ والصَّـلاةَ والجِهـادَ فـى سَبيلِ اللّه .

قالَ أبوها : هـذا حَقيقـىٌّ يـا ريـم ، فقدْ سَمِعَ أبـو أيُّـوبَ ذاتَ يـومٍ قَـوْلَ الرَّسـولِ ـ صلّى اللّـهُ عليـهِ وسـلّم ـ فوَعـاه وأَدّاهُ

أحسنَ أداء ، سَمِعَه يَقول : (إذا صلّيتَ فصَلِّ صلاةَ مُودِّع ، ولا تُكلّمَنَّ بكَلامٍ تَعتَذرُ مِنه ، والزَمْ اليَأسَ مِمّا فى أيْدى النّاس) . فكانَ دائِمًا أبدًا عفَّ اللّسان ، لا يَنطِقُ إلاّ بخَيْر ، ولا تَهفو نَفسُهُ إلى مَطمَع ، وقَضى حياتَه كُلَّها فى أَشْواقِ عابد ، وعُزوفِ مُودِّع .

قالَ مُصطفَى : اللّهمَّ صَلِّ وسَلّم وبارِكْ على سَيِّدِنا مُحمَّد ، فقد أَوجز تَعاليمَ الإِسلامِ فى كَلِماتٍ قَليلَةٍ شامِلَةٍ جامِعَة .

قالَ أبوه : ألَمْ تَعلَمْ أنَّ اللّهَ

سُبحانَهُ وتعالَى قالَ عنه فى كِتابِه العَزيز « وما يَنطِقُ عنِ الهَوَى . إن هو إلاّ وَحىٌ يوحَى » ؟